مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

أخطاء تقدير الموقف أضرّت بحزب الله

المصدر: جريدة "هم ميهن" والكاتب: محمد خواجوئي

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

أخطاء تقدير الموقف أضرّت بحزب الله

قسم الابحاث والترجمة

المصدر: جريدة "هم ميهن" (أبناء الوطن) [1]

الكاتب: محمد خواجوئي، رئيس قسم لبنان في مركز الأبحاث للدراسات الشرق أوسطية

تاريخ النشر: 7 تشرين الأول 2024

قال محمد خواجوئي، المُحلل السياسي للشؤون اللبنانية، في حوار مع صحيفة "هم ميهن" الصادرة في طهران، "إن تدخّل حزب الله في الحرب مع إسرائيل قد غيّر معادلات الردع في المنطقة، وكان الهدف الأساسي هو أن تكون هذه القوة الرادعة مانعاً من نشوب الحروب، لأن سلاح الردع يمارس تأثيره عندما لا يُستخدم"

وأضاف مدير قسم دراسات لبنان في مركز الأبحاث الاستراتيجية للشرق الأوسط: "في ظل عدم وجود دعم لأمين عام حزب الله، وإلى جانب تراجع المقاومة الفلسطينية، فقد خسرت إيران بالطبع جناحيّن من أجنحة قوتها في المنطقة لفترة طويلة على الأقل، وهذا يقلّل من قدرة إيران على المناورة في المعادلات الحالية في المنطقة، ويقلّل بالطبع حتى من أدوات الضغط التي تمتلكها إيران في المفاوضات السياسية إلى حد كبير".

فيما يلي نص الحوار:

- لأكثر من ١٨ عاماً، بعد حرب الـ ٣٣ يوماً بين إسرائيل ولبنان في عام 2006، استطاع حزب الله أن يحافظ على قوة ردعه ويزيدها من خلال خلق توازن الرعب، وذلك في مواجهة إسرائيل. وقد شكّل جزء من هذا التوازن نشر أخبار حول وجود أسلحة إيرانية في ترسانة الحزب، وتحديداً وجود صواريخ باليستية. إلاّ أن التطورات التي حدثت في الأسابيع الأخيرة أثارت شكوكاً حول ما إذا كان هذا الردع مجرد دعاية، وأن حزب الله - بافتراض وجود صواريخ في الجنوب – لم يحصل على الإذن لاستخدامها. ما هو تحليلك لهذا الشك الذي ألقى بظلاله على قوة ردع الحزب؟

* ما زلت أعتقد أن عنصر الردع لايزال موجوداً، لماذا أقول ذلك؟ لأن هذا الوضع، أي عدم وجود حرب بين الطرفين منذ عام 2006 حتى عام 2023، كان قائماً على أساس ما، ولم يكن صدفة. فقد شهد الطرفان صراعات وحروباً على مدار سنوات، وهذه الفترة التي يمكن اعتبارها قريبة من عقديّن كانت نتيجة للتوازن الذي تم خلقه بعد عام 2006. وعلى أي حال، فإن تفوق إسرائيل الإستخباراتي يمكن أن يكون دليلاً على أن ما كان يملكه حزب الله لم يكن مجرد دعاية، وأن إسرائيل على الأقل كانت تعرف مدى قوة الحزب.

لو كان حزب الله خصماً سهلاً لإسرائيل، لكان الكيان الصهيوني قد حاول التخلص منه في وقت مبكر جداً. لذلك، فإن الهيكل الرادع الذي تم إنشاؤه منذ عام 2006 كان يعتمد بالكامل على قدرة الطرفيّن على تدمير بعضهما البعض، وهذا ما أدى إلى عدم رغبة الطرفيّن في الحرب، بل تعدى ذلك إلى أن قدرة حزب الله جعلت هذه القوة فعالة ومؤثرة حتى في مجال الاتفاقات السياسية، وأهم مثال على ذلك الاتفاق الذي تم التوصل إليه قبل عاميّن بين إسرائيل ولبنان بشأن تحديد الحدود البحرية.

إذن نحن نتحدث عن عنصر حقيقي على أرض الواقع. ولكن دخول حزب الله في حرب مع إسرائيل قد غيّر المعادلات في تلك المنطقة، والهدف الأساسي كان أن تكون هذه القوة الرادعة سبباً في عدم نشوب الحرب، لأن الردع بالسلاح يؤتي ثماره عندما لا يُستخدم.

[1] https://hammihanonline.ir/ محاسبات اشتباه به حزب‌الله آسیب زد

والواقع أن حزب الله دخل في حرب مع إسرائيل عام 2006 بناءاً على حسابات اعتقد الحزب أنها ستحقق له النصر، حيث كان يثق في قدراته العسكرية. ولكن حزب الله لم يأخذ في عين الإعتبار بعض الأمور المرتبطة بحقيقة أن العقلية القتالية والحربية للحزب في مواجهة إسرائيل قد تشكّلت بناءاً على معادلات عام 2006، وعلى هذا الأساس دخل حزب الله في حرب مع إسرائيل معتقداً أنه أصبح قوة رادعة للبنان وأن إسرائيل لا تستطيع شن حرب شاملة ضد لبنان، وأنه يستطيع فرض حالة من الإستنزاف. والواقع أن حزب الله لم يسع إلى حرب شاملة بل أراد فقط إشغال إسرائيل في صراع محدود ليكون عاملاً مزعجاً لها.

لكن ما لم يأخذه حزب الله في الحسبان هو القدرة الإستخباراتية والتقنية والعسكرية الإسرائيلية التي شهدت تطوراً كبيراً خلال العقديّن الماضيين. وهذا لم يكن ضمن حسابات حزب الله. فعلى سبيل المثال، لم يستشهد العديد من قادة حزب الله الكبار في ميدان المعركة بل تم استهدافهم في منازلهم. أو في عمليات تفجير جماعي لأجهزة "البيجر" التي كانت ثمرة لسنوات من العمليات الاستخباراتية الإسرائيلية، تلقى حزب الله ضربة موجعة بالضبط من النقطة التي اعتقد أنه يمتلك فيها الأفضلية، وهي الاتصالات عبر أجهزة "البيجر".

إن الأمر الذي لم يأخذه حزب الله في الحسبان عند دخول الحرب هو بالضبط هذه الاستراتيجية الإسرائيلية المعروفة بـ "ألف طعنة سكين" والتي تمكنت إسرائيل من خلال قدرتها الاستخباراتية والتقنية من تنفيذها. وقد أدرك حزب الله الأمر في وقت كانت ذروة قوته عند تفجير البيجرات، وبدون إطلاق رصاصة واحدة، استُهدف العديد من عناصر حزب الله في محلات الفواكه والمخابز، مما يظهر تعقيدات الحرب. أما ما أعتقد أنه أصاب حزب الله بالضرر الآن، فهو ليس الضعف العسكري، بل إصابة القادة والزعماء، مما جعل هذه المنظمة اليوم بلا قائد.

في الواقع، على مستوى القوات الميدانية، لا يزال حزب الله يعاني من خسائر أقل، ولكن هذه القوات تحتاج إلى قدرة عملياتية وقيادة. عندما نرى أن هرم القيادة بأكمله قد أُستُشهد، ويمكن القول إنه في غياب القادة الفعالين مثل السيد حسن نصرالله والسيد هاشم صفي الدين والسيد قاووق، فإن القدرة القيادية لهذا الحزب معدومة عملياً، ويبدو أنه يتبع نموذج خلايا المقاومة، حيث تحاول مجموعات المقاومة توجيه ضربات إلى إسرائيل. وإن واحدة من أشد الضربات التي تلقاها حزب الله هي الضربة التي وجهت إلى قدراته الاتصالية.

يواجه العديد من أعضاء حزب الله اليوم صعوبات في التواصل بشكل طبيعي فيما بينهم. وهذا يؤدي إلى عجز الحزب، حتى لو كان يمتلك قوة عسكرية كبيرة، عن استغلال أدواته لقلب المعادلة لصالحه ضد إسرائيل، وذلك بسبب غياب هيكل قيادة واضح وهيكل اتصالات فعّال.

- إن قضية استشهاد السيد حسن نصر الله ستحمل معانٍ مختلفة لحزب الله، ولبنان، والمنطقة، والأهم من ذلك إيران. و معنى فقدان هذا القائد الكاريزمي والقوي لحزب الله والذي حول هذا الجناح من محور المقاومة إلى جوهرة إيران في المنطقة، فما هو مدى تأثير استشهاده على الوجود الإيراني الإقليمي؟

* برأيي، أصبح حزب الله بعد أربعة عقود من تأسيسه نقطة ارتكاز لإيران، وشهدنا بعد استشهاد الحاج قاسم سليماني أن الجزء العملياتي من الحرس الثوري وإدارته في الشؤون الإقليمية، على الأقل في لبنان وسوريا، كان تحت قيادة السيد حسن نصر الله، وكانت إيران، سواء القادة العسكريون أو المسؤولون السياسيون، تستشير السيد نصرالله، مما يعني أن هذه المجموعة وصلت إلى درجة من النضج جعلت إيران تعتمد عليها.

على كل حال، في ما يتعلق بمجال الأجهزة، كانت إيران بمثابة نقطة الدعم لهذا الحزب. وفي ظل غياب نقطة الدعم هذه، إلى جانب إضعاف فصائل المقاومة الفلسطينية، فإن ذلك يعني بطبيعة الحال أن إيران فقدت ذراعيّن من قوتها في المنطقة لفترة طويلة على الأقل، وهذا يقلّل من قدرة إيران على المناورة في المعادلات الراهنة في المنطقة، بل ويفقد بطبيعة الحال أداة الضغط الإيرانية في

المفاوضات السياسية إلى حد كبير. وعلى أي حال، كانت أنشطة هذه الجماعات أداة ضغط لإيران في مفاوضاتها مع الغرب، واليوم لا وجود لهذه الأداة الضاغطة، وبطبيعة الحال فإن هذا الوضع يضع إيران في موقف أضعف من السابق سواء من الناحية العملية أو السياسية.

- بالإضافة إلى ذلك، بما أن حزب الله يواجه صعوبة حتى في الإعلان عن اسم الأمين العام الجديد، فكيف تريد طهران الحفاظ على مكانتها في الأجواء الداخلية اللبنانية في الوقت الذي تحاول أحزاب المقاومة المعارضة الدخول في عملية انتخاب الرئيس؟

* لا شك أن إضعاف حزب الله سيؤثر على تركيبة القوى السياسية داخل لبنان، لأن الحزب كان يلعب دوراً تنظيمياً في لبنان. وهذه القوة التنظيمية قد ضعفت بالفعل في الوقت الحالي، والحقيقة هي أن نقطة قوة الحزب وما يميزه عن الأحزاب السياسية الأخرى هي سلاح هذه الجماعة، مما جعله يتمتع بميزة فعلية حتى في المعادلات السياسية. يبدو أن التطورات التي حدثت في الأسابيع الأخيرة كانت تمثل حلماً طالما راود أعداء حزب الله، حيث أصبحوا يواجهون مجموعة مضطرة إلى أن تكون بنفس وزن الأحزاب الأخرى في البرلمان وليس لديها أي ميزة نسبية على الآخرين.

بالتأكيد، أعتقد أن إضعاف حزب الله عسكرياً وتنظيمياً سيؤدي إلى إضعاف وضع هذا التيار سياسياً أيضاً، على الرغم من اعتقادي أنه نظراً لأن الحزب لديه قاعدة طائفية محدّدة وداعمين محدّدين يملكون حصة محدّدة في البرلمان، ولا يوجد حالياً بديل له، فلن يتعرض لضربة من حيث عدد النواب في البرلمان في المستقبل، لكن موقفه سيتم إضعافه بالتأكيد.

المسألة هنا هي أننا يجب أن ننظر أيضاً إلى مستقبل هذه التطورات، فالحرب لم تنته بعد، وحزب الله يستخدم ما تبقى لديه من قوة عسكرية لكي يتمكن من جر إسرائيل إلى حرب استنزاف، ولكن على الرغم من ذلك، فإن الحزب اليوم لا يمكن مقارنته بالماضي، وحتى وقت التعافي، فإن هذا الفراغ السياسي سيؤثر على أجواء لبنان، ونحن الآن في وضع بدأت فيه تحركات لكي تحاول الكتلة القريبة من الغرب طرح مرشحها المفضَّل في انتخابات الرئاسة اللبنانية، ونحن نشهد ضغوطاً من جانب أمريكا لطرح مرشحهم المفضَّل، وهو الجنرال جوزف عون، قائد الجيش، كمرشح رئيس لتولي منصب رئاسة الجمهورية، ولكن هذا لا يعني أن تأثير الحزب في تحديد الرئيس في البرلمان قد زال، ذلك أن الحزب وحلفائه لا يزالون يملكون عدداً محدداً من النواب والأصوات، وبالتالي فهم يملكون حق التصويت بقدر حصتهم ويمكنهم التأثير، لكنهم أضعف من الماضي بالتأكيد.

ومع ذلك، إذا لم يستطع حزب الله النجاح في حرب الاستنزاف هذه مع الكيان الصهيوني، فسوف نشهد في المستقبل تأثيرات سياسية أكبر في لبنان، وسوف تعود أجواء لبنان إلى نوع من التوازن بين التكتلات والجماعات السياسية.

- هل هذا التفسير والتصور صحيح بأن المجتمع الشيعي في لبنان يشعر بنوع من اليأس والإحباط من الدعم الذي تقدمه الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد اغتيال السيد حسن نصرالله، وهو ما ظهر في أسئلة الصحفيين لوزير الخارجية الإيراني خلال زيارته إلى بيروت؟ كيف تقيمون الإجراءات التي اتخذتها طهران بعد ذلك للسيطرة على هذا اليأس وما هي الإجراءات التي يجب على إيران اتخاذها؟

* هذا الوضع الذي أشرت إليه موجود بالفعل وأنا شخصياً أتحدث مع الكثير من اللبنانيين الذين يعكسون هذا الرأي والنظرة، إما أنهم يعتقدون في هذا الرأي بأنفسهم أو يرسمون جواً تشكّل فيه هذا الرأي. وهذا السؤال طُرح بشكل كبير في الأجواء اللبنانية وخاصة في الأسبوعين الأخيرين وهو لماذا تركت إيران حزب الله وحيداً؟

إن الأجواء العاطفية التي تشكّلت في لبنان بعد استشهاد السيد حسن نصر الله والقادة العسكريين والاجتياح الموسع الذي قام به الكيان الصهيوني، جعلت مثل هذه الأجواء والتساؤلات تُطرح أكثر، أين إيران التي كانت حليفتنا الآن؟

بغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد أو خطئه، أو عن مستوى التدخل الذي كان من المفترض أن تقوم به إيران في مثل هذا الوضع، فإننا نواجه حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن النفوذ الإيراني في لبنان، وخاصة بين الشيعة، يواجه الآن تساؤلاً وشكوكاً حول سبب عدم وقوف إيران إلى جانبهم في اللحظة الحاسمة. لقد ساهمت عملية "الوعد الصادق" في دحض تلك الأفكار المتشائمة التي تزعم أن إيران قد تفاوضت على حساب حزب الله وباعته، ولكنها لم تتمكن من ترميم الوضع بالكامل.

كان هناك توقع كبير في أوساط واسعة في لبنان وحزب الله بأن تدخل إيران في اللحظة التي تعرض فيها الحزب لضربات متتالية واستشهد فيها قادة كبار. ولكن إيران انتظرت حتى وصلت الأمور إلى نهايتها واستشهد الأمين العام لحزب الله قبل أن تتدخل. ويبدو الآن أن طهران قد أدركت أنها ربما كان يجب عليها التحرك مبكراً، وأن أحد أسباب عملية "الوعد الصادق" كان ترميم صورتها المشوهة بين أنصارها، لأن إيران تعتمد دائماً على هذه القاعدة الداعمة ولا تريد أن تفقد ثقتهم بها.

هذه المسألة بطبيعة الحال تحتاج إلى إعادة بناء وتستغرق وقتاً، وقد كانت سرعة التطورات في لبنان كبيرة جداً لدرجة أنها جعلت الظروف غير قابلة للتصديق حتى بالنسبة لإيران، وهذا العامل هو ما دفع جميع الأطراف إلى البحث عن المسؤول. ما أضرَّ بحزب الله وأوصله إلى هذه النقطة هو الحسابات الخاطئة التي ارتكبها الحزب في هذه الحرب، مما أدى إلى ضياع المكاسب التي حققها بالفعل بعد عام 2006 دون تحقيق أي إنجاز يذكر لأن هذه الحرب لم تؤثر فعلياً على ساحة المعركة في غزة.

وفي كل الأحوال، يجب ألّا ننسى أن هناك فارقاً جوهرياً بين إيران وهذه الجماعات، ألا وهو أن إيران دولة ذات تعهدات ومسؤوليات، وبالتالي فإنها تواجه تحديات لا تواجهها تلك الجماعات. ففي إيران، هناك تصور شائع ويتم الترويج له في الأجهزة الرسمية للنظام الحاكم بأن هذه الجماعات حليفة لإيران وتمثل درعاً واقياً لِأَمنها. لذا، فإن أي تحرك داعم من إيران لهذه الجماعات قد يقوض هذا التصور بالكامل. لا أود القول بأن هذا التصور صحيح أو خاطئ بالضرورة، ولكن المشكلة تكمن في أن إيران كدولة، مقيدة بقيود تمنعها من شن حرب شاملة ضد إسرائيل لدعم لبنان. علاوة على ذلك، كان هناك تحليل سائد في إيران مفاده أن حزب الله قادر على مواجهة إسرائيل، ويبدو أن جزءاً من هذا التحليل كان مُبالغاً فيه إلى حدٍ كبير.

الصورة:

Opinion: After Hezbollah’s miscalculations, it has lost much of its power - The Globe and Mail